بسم الله الرحمن الرحيم

((إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى ● يغيروا ما بأنفسهم))

ماذا يحدث في الداخل؟! . . . ما هو دورنا في الخارج؟!

يعيش شعبنا في الأحواز حالياً ضمن مرحلة تاريخية مهمة، وتكمن أهميته على تطلّع الناس في صحوتهم القومية نحو تغيير الواقع ضمن ظروف غاية في التعقيد. فإذا مررنا مروراً سريعاً بتاريخنا الحديث، أي منذ عام الإحتلال في ١٩٢٥ م، فإننا نجد أنّ حكم رضا شاه كان حكماً شوفينياً وعنصرياً فاشلاً، وحتى عندما إستلم من بعده إبنه محمد رضا بهلوي الحكم فكان إلاّ نسخة ثانية عن حكم أبيه، بل أكثر دهاءً بالنسبة للقوميات غير الفارسية، حيث أنه كان يمنع ظهور أي فكرة أو موضوع أو حق يخصّ الثقافات غير الفارسية، وكان يقمع أي نشاط قام، آذرياً كان، أو كردياً أو عربياً.

بعده أتت الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ بشعارات ودعايات برّاقة، وتصورت الشعوب في إيران بأنّ هذه الثورة أو هذا الإنتقال من الحكم الدكتاتوري البهلوي إلى حكم جمهوري إسلامي، يعني الإنتقال إلى حكم عادل وحر، ولكن ما حصل هو نشوء حكم إستبدادي من نوع جديد، وبما أنّ الشعوب والقوميات في إيران كان له دور بارز في التصدي لكل ما هو له علاقة بإغتصاب حقوقهم ورغم كل الوعود التي قطعتها حكومة ((الملالي))، فإنّ هذه الوعود لم تعدّ الإعتراف بحقوق القوميات، والعجيب في الأمر أنه عند صياغة الدستور الإيراني للجمهورية الإسلامية، دُوّنت المادتان رقم (١٥) و (١٩) والتي تنصّان على حقوق القوميات في إيران، حيث تنص المادة (١٥) وبالحرف الواحد، على حق القوميات الإيرانية بأنّ تكون لها صحفها ووسائل إعلامها وتدريس آدابها ولغاتها إلى جانب اللغة الرسمية، أي الفارسية في جميع المراحل الدراسية،(١)، ولكن للأسف لم تُطبق هذه المادة من الدستور، وبقيت المادتان حبراً على ورق، ووصلت نتائج هذه السياسات إلى طريق شبه مسدود.

في عام ١٩٩٧م رشّح محمد خاتمي رئيساً للجمهورية، وخلال هذه الفترة حصلت تغيرات وتطورات مهمة تستحق الوقوف عندها، وإلقاء الضوء عليها، فبعد التهميش وإلغاء دور القوميات بشكل فاعل في الحياة الإيرانية، والتي تشكل هذه الشعوب أكثر من ٦٠% من مجموع سكان إيران، حصلت صحوة ونهضة قومية في هذه الفترة، وبدا واضحاً حينها أنّ فرصة لهبة قد أُتيحت، وبدأت هذه الشعوب

بإغتنام هذه الفرصة، وأخذ العرب في الأحواز دورهم بعد الحرمان الطويل، وسعت النخبة المثقفة والمتابعة للأحداث في الأحواز وعموم إيران من شابات وشبان على المشاركة والمظاهرة والنزول إلى الشوارع بكل ثقلهم لإبراز وجودهم وثقافتهم وهويتهم العربية، بعد إعداد العُدة ودراسة طاقاتهم مع أخذ الحيطة بعدم الوقوع في قعر التجارب الماضية، فقد بينت الأحداث حينها أنَّ شعبنا العربي الأحوازي لم يكن غافلاً عمّا يجري في دهاليز السياسة الإيرانية والتي كان قد بدا التأزم السياسي الإيراني واضحاً حينها، فوظَّف الشعب تلك المرحلة لصالحه لرفع مستواه وإستيعاب المتغيرات ولعب دوره الذي كان من المفروض أنْ يكون.

وبهذا فاجأت النهضة القومية في الإقليم حتى نفسها، كما فاجأت الجميع، ولن أضيف جديداً إذا عُدتُ للحديث عن أسباب تفَجُّر هذه الطاقات، لكن يمكن التأكيد على عدد من الأسباب:

أولاً : إنَّ التفاعل العربي والشعبي جاء بالتأكيد على الحرمان الذي عاناه طوال السنوات الماضية، والقناعة على إنتهاز الفُرصة للنهوض، كما جاء أيضاً لأسباب تتعلق بالجماهير نفسها، والتي رأت بأنَّه الخط الوحيد الذي فيه الحرية من الخطوط التقليدية الماضية، ولذا أصروا على المشاركة، وهكذا كانت هذه المشاركة تعبيراً عن الغضب والإحباط الأحوازي برجاله ونسائه .

ثانياً : يمكن الإشارة إلى دور العامل الإقتصادي المتأزم الذي كان متجذراً وما زال في الإقليم، فبعد أنْ كانت رتبة المحافظة الثانية في كل إيران، نزلت إلى المرتبة الرابعة والعشرين، حيث كانت للحرب الإيرانية ــ العراقية دور كبير في هذه الأزمة، ولأنَّ هذه الحرب دارت رحاها في أراضينا ولم يتم تصليح ما دمرته الحرب في الإقليم، بل قام النظام الإيراني بإستغلال الفرصة لكبت الحق العربي في الإحواز ورجوعه للوراء .

ثالثاً : وهنا نلقي الضوء بشكل خاص على دور الإعلام ودور بعض الإخوة العرب الصحفيين، والكتّاب الذين كان ،ومايزال، لهم دور بارز في الصحف الداخلية، نذكر منهم، لا الحصر، الأخ يوسف عزيزي والأخ منصور مشرّف والأخ مسلم أريحي وآخرين كثيرين، ممن كانوا مهتَمّين بترجمة الأحداث وعكسها للقرّاء في عموم إيران وللعرب في الأحواز، في الوقت نفسه كانت هناك أيضاً

مشاركات للقوميات الأخرى نذكر منها، مشاركة الأتراك الأذريين، وبنفس المستوى والأسلوب، حيث قرأتُ في تلك الأيام في صحيفة ((همشري)) الإيرانية، والتي تصدر في طهران، والتي يكتب فيها الصحفي والكاتب العربي يوسف عزيزي، دور وقوف العرب في هذه الأنتخابات وفي الصفحة الأولى، وبنفس المشاركة والموقف كان أيضاً في نفس الصحيفة وعلى الصفحة الأولى دور الأتراك الأذريين، وأود أنَّ أوضح هنا نقطة، ألا وهي أنَّ الأذريين هم دور كبير في إيران، وحقوق أفضل بالنسبة للقوميات الأخرى، بسبب تعدادهم السكاني الكبير، من جهة، وقدرتهم الإقتصادية ونفوذهم في العاصمة ((طهران))، من جهة أخرى، فهذه المشاركة التي قام بها العرب في الإحواز كانت تؤكِّد على أنهم يسيرون في الإتجاه الصحيح، ويجب الإستمرار .

وهناك كانت أيضاً نقطة لا تقل أهمية ويجب الإشارة إليها وهي أنه يمكننا الحديث عن مستوى عالٍ من النضج وتراكم التجارب الصحيحة والخاطئة عند شعبنا العربي قد أسهم في بلورة وعي جديد مفاده إستخدام الوسائل الثقافية من الكتب والصحف والمصادر، الذي كان يعتبر الطريق الوحيد في تلك المرحلة لإثبات الذات العربية أمام سياسة إيران السلطوية التي لا تبالي ولا تعير إهتماماً للقوميات وبالخصوص العرب منهم، فلهذا كان لا بد من الإستمرار في العمل لخلق مناخ جديد ومرحلة جديدة ليسهل التعامل معه .

وبعد أنْ مضت الشهور الأولى ، بل وأول مراحل حكم ((الإصلاحيين)) بدت التطورات تفرز أموراً كان من الطبيعي ظهورها بعد المثابرة على تلك الممارسات، فقد شهدت مدن وقرى الأحواز أمسيات شعرية وموسيقية ومهرجانات ومعارض للكتب العربية المُتَعَلِّقة بالكتَّاب والشعراء العرب الأحوازيين، كما كانت هناك أيضاً جهود تُبذل من قِبَلْ طالبات وطلبة الجامعات على توسيع النشاط الثقافي عن طريق إصدار نشريات شهرية ودورية باللغة العربية، فمثلاً أصدرَ طلبة وطالبات جامعة أصفهان نشرة ((الفتى)) وهم كانوا يركزون على إبراز دور الثقافة و التوعية،منها اللقاءات مع أساتذة عرب ودورهم في إثراء ثقافتنا في المجتمع الأحوازي، وأيضاً دور اللغة العربية وإحيائها، من جهة، وإبراز دور الشعر الشعبي والفصيح بجميع أشكاله وأنواعه، بل التركيز على شعراء المنطقة وإحياء شعر الأحوازيين القدامى .

وفي جامعة شهيد شمران في نفس الأحواز يصدر الطلبة أيضاً نشرة شهرية بعنوان ((أهواز)) وفيها من

الجهود والنتاجات الأدبية والثقافية النيِّرة، كما لا ننسى دور الطلبة المخلصين في المدن الأخـــرى، في داخل الأحواز وخارجه، مثلاً في جامعة ((عبّادان))، وتُنشر في هذه الجامعة نشرة بعنوان ((المناهل))، وهناك جهود أخرى تُبذل لإحياء ثقافتنا العربية في عموم المنطقة وخارجها التي تعتبر فخراً لنا نحـــن العرب حيث المتتبع لهذه النشاطات والأحداث المهمة في الوطن يلاحظ إصالة الجهود والنتائج وضمن فترة وجيزة تستحق الإهتمام ودعمها بكل الوسائل .

وهناك وجه آخر للنتائج في المجتمع الأحوازي، حيث ظهرت كتب تاريخية حول تاريخ وجغرافيـــة منطقتنا وإقليمنا باللغتين العربية والفارسية، وصدرت بعض الصحف التي كانت تهتم بقضايا العرب في الإحواز باللغة الفارسية، وأيضاً عربية ــ فارسية، نذكر من هذه الصحف صحيفـــة ((أهـــواز)) الإسبوعية لرئيسة تحريرها السيدة منيزة جاسم نزاد وهي مثقفة عربية، والصحيفة ممتازة وهدفها شرح وإيصال صوت الناس والمحرومين في الأحواز إلى مَـــنْ يهمه الأمر .

ثم بعد ذلك صدرت في أواسط عام ٢٠٠٠ م صحيفة ((الشورى)) الأسبوعية وهي صحيفة بـــاللغتين العربية والفارسية، وتهتم بأمور ومشاكل العرب في الأحواز ورئيس تحريرها صالح بور، وهو فارسي، ثم صحيفة ((صوت الشعب)) الشهرية لصاحبها السيد حسن هاشميان وهو عربي، بالإضافة إلى هـــذا كله لا يعني بأنه لا توجد سلبيات أو مشاكل تعرقل طريق الصحوة والنهضة في الإقليم، فمـــازالت هنالك مشاكل مادية ومشكلة أخرى أشد وأهم وهي ضيق نظر الشوفينيين الفرس تجاه الصحوة الـــتي يعتبرونها خطراً عليهم، فهذه النظرة كانت وما زالت هي تحليلهم الوحيد لكي يسهل عليهم قمع هذه الحرِيَّات، والأهم من هذا أنهم مازالوا كثرة وهم دور كبير في صناعة القرار في طهران، ومن ثم فـــإنَّ هذه القوميات وبالخصوص القومية العربية تعاني من أزمة هوية بسبب سياسات ((التفريـــس)) الـــتي كانت ومازالت تمارَس ضدهم .

أمّا بالنسبة للمثقفين الأحوازيين في الداخل والخارج، والخصوص المؤلفّين والكتُّاب قاموا بجـــهود لا يستهان بها، حيث قام بعضهم بتدوين تاريخنا مستخدماً وثائق، ووفق نظرة جديدة وبأفكار جديـــدة، مثل كتاب تاريخ ((خوزستان أز دورة إفشارية تا دورة معاصر)) لمؤلفها السيد موسى سيادت العربي الأحوازي، فالكتاب ثمين بمعلوماته وتحليلاته وبوثائقه المهمة، وهو مكون من مجلدين .

كما صدر كتابان للدكتور علي الطائي الأحوازي الذي يعيش في أمريكا، فالكتاب الأول بعنوان

((عرب خائن سنيت . . . مدَّعي مفتري إست))، والثاني بعنوان: ((بحران هويت قومي در إيران)) ويُعتبر الكتابان غاية في الأهمية، وأخُصُّ بالذكر الكتاب الثاني الذي يوضح فيه الكتاب عن حِدَّة بروز أزمة الهوية القومية في عموم إيران وبالخصوص العرب، حيث يوضِّح فيه جوانب كثيرة تُخصُّ الهويـــة بل إعطاء حلول في كيفية التعامل مع حل هذه الأزمة ضمن المرحلة الراهنة مقارنة بالتاريخ والحاضر.

ثم هناك أيضاً، ترجمات لكتب قام بها السيد محمد جواهر الكلام العربي الأحوازي الذي يعيـــش في طهران، حيث قام بترجمة كتاب بعنوان ((تاريخ خوزستان)) لمصطفى الأنصاري إلى اللغة الفارسية، فهذا الجهد هو مفيد ومهم لأنه يبيِّن لنا كيفية قراءة قضيتنا ومجتمعنا من النظرة الفارسية، فنحن بحاجة إلى هذه الجهود لصياغة تاريخنا الحديث والرؤية إليها من كل الإتجاهات ونقدها وتصحيحها، كمـــا قام السيد جواهر الكلام بترجمة كتب غاية في الأهمية مثل كتاب ((سيصد سال تاريخ خوزســتان))، (٣٠٠ سنة من تاريخ خوزستان) من عام (١٦٠٤ ــ ١٩٢٥م) للكاتب البريطاني جان جـــوردون لورمير، حيث كان مثل هذا العمل محذور وممنوع من قبل، إنها في الحقيقة خطوات جريئة وصحيحـة ولو إننا بحاجة أكبر للكتابات العلمية ومثل هذه الجهود .

وهناك كتب أيضاً صدرت ومازالت في هذا الحقل الثقافي، والأمور تشير وتدلل على مستقبل أكـــثر وضوحاً من ذي قبل، وكلٌ يحاول إثبات إصالة الهوية العربية وتجَذُّر العمق الحضاري الذي نمتلكه، بل يجب الإستمرار، فكما هو واضح ومعلوم أنَّ الخط الثقافي نتائجه لا تتضّح في المدى القريب، لأنَّ هذا النوع من النشاط يعتبر نشاطاً جذرياً، وبالتالي يكون تأثيره في المدي البعيد، وهو ما نحتاج إليه .

بالإضافة إلي ذلك كلّه، ظهرت أيضاً بعض الجمعيات المدنية والسياسية والثقافية للدفاع عن حقـــوق العرب في إطار الدستور الإيراني مثل، ((لجنة الوفاق الإسلامي))، حيث قامت هذه اللجنة بجـــهود ممتازة وبدور الموجِّه للجماهير العربية في المنطقة، ومهمة هذه اللجنة عند إنطلاقها كانت ذات طبيعـة ثقافية وتستهدف توعية الشعب بحقوقه الثقافية والعمل من أجل الحصول عليها، ثم توسَّـــع دورهـــا عندما قدَّمت ترشيح أسماء ممثلين للإنتخابات البرلمانية للمجلس السادس الإيراني، حيث كان من

ضمن شروط اللجنة على الناخب أن يقوم بطرح مشاكل الناس، والعرب منهم على وجه الخصوص، في البرلمان الإيراني، وبالتالي السعي لإيجاد الحلول العملية لها، بل العمل على الحَدِّ من المشاكل المتراكمة التي يعانيها أكثر الناس بشكل عملي في الإقليم .

كما ظهرت أيضاً جمعية بإسم ((جمعية النساء العربيات))، وفي الحقيقة إنَّ هذه الجمعيات كانت، وماتزال، لها الدور الكبير والفاعل في المجتمع الإحوازي، [redacted] هذا، ولكن مع الأسف، فإنه ولـلآن لم تحصل هذه الجمعيات على تراخيص رسمية من الحكومة.

ثم بالنسبة للإذاعة في الأحواز، فإنها تبثُّ يومياً مدة نصف ساعة برامجاً باللهجة العربية الأحوازية الدارجة، تتخللها موسيقى وتمثيليات إذاعية وتلفزيونية(٢)، توضِّح فيها ما يُقلق وما يهم الأسرة والفرد العربي في مجتمعنا من مشاكل وأمراض إجتماعية، من قبيل القضايا التي تتعلق بالبطالة والأميَّة والمخدرات، غير أنَّ المواطنين العرب يطالبون بساعات أكثر للبَثِّ باللغة العربية، لما لهذه الأعمال الإعلامية من نتائج سليمة وإيجابية على الشعب .

* * * * * *

هذه نظرة عامة حولَ أحداث الوطن في الأعوام الخمسة الأخيرة، حاولتُ أوَضِّح فيها تأثير هذه التغييرات على مسيرة تقدّم الشعب، وبعض العراقيل التي تعوق هذا التقدم، وبالتالي يجب أن لا تكون هذه الأحداث بعيد عن إهتماماتنا كأحوازيين مهتمين بأمور شعبنا وبلدنا، ونحن في المنفى وبعيدين عن الوطن، بل نستطيع أنْ نقوم بدور فعَّال ومكَمِّل لما يحدث في الداخل والتواصل معهم، حيث هناك طرق مختلفة نستطيع خلالها أنْ نخدم شعبنا، فمثلاً نستطيع أنْ نساهم بالإشتراك مع الصحف التي تُنشَر في الأحواز التي تهتم بقضايا شعبنا، فهذا الإشتراك يعتبر واجب وطني، لأنَّ مدَّنا المادي لهذه الصحف يضمن لها الإستمرار ولنا المعرفة الكافية على ما يحدث في داخل الوطن، وإنَّ ثمن الإشتراك السنوي في بعضها لا يتجاوز الـ٢٥ دولاراً .

ثم نستطيع أنْ نقوم بكتابة دراسات ومقالات علمية أو إجتماعية وإقتصادية، وإرسالها لهذه الصحف، فإننا نستطيع أنْ نرفع من مستوى صحفنا وإثرائها علمياً .

فإذا إستطعنا أنْ نقوم بهذا الدور نكون قد كسرنا حاجزاً مهماً، وبالتالي وضعنا خطوة مهمة للأمام،

وفي هذا السياق أود أنْ أؤكِّـد أنَّ ((الرابطة وأعضاءها ومسؤوليها)) لهم دور طليعي في هذا المجال، حيث أنَّ خبرة مثقفينا والمهتمين بالشأن الأحوازي في الرابطة، أخذت على عاتقها أنْ تكمِّل هـذا المسار الثقافي ودعمه بكل السُبُل والطُرق وبالنهج الصحيح .

*** (الفرق بين السياسة والثقافة من بعض الزوايا) ***

إخوتي وأخواتي : إنَّ التركيز على الشأن والنشاط الثقافي هي وسيلتنا للوصول إلى غايتنا، فإننا نجد أنَّ المجتمعات التي تعاني الكبت والحرمان تطفو على السياسة والسطح وتترسب الثقافة في القعر، لأنَّ الثقافة هي الأصل وترتبط بالمجتمع، فالتغيُّر أو التطور لا ينتقل إلاّ إذا صار جزءاً من الوعي وإستبطنه أبناء الشعب والمجتمع، ولا يتم هذا عبر الحلول السياسية، بل الثقافة هي الأصل، ونضرب مثالاً على ذلك، بأنَّ كلما أحَسَّت القومية أو الأقلية بالإضطهاد والتمييز، حلَمَت بـ((الحلول الثوريـة))، أو لجأت إليه، أو كلما تحسَّنت الأمور وتضاءل الكبت وعمَّت العدالة الإجتماعية، زاد ركون ومطالبة الأقلية أو القومية بـ((الحلول الإصلاحية))وهيأت الفُرصة ((للتجديد من الداخل)) على حَدِّ تعبير (محمد عابد الجابري)، ومن ثم إعلاء الشأن الثقافي،(٣) .

هذا هو المدخل الصحيح برأي الرابطة إلى التجربة وتحقيق الهدف المنشود .

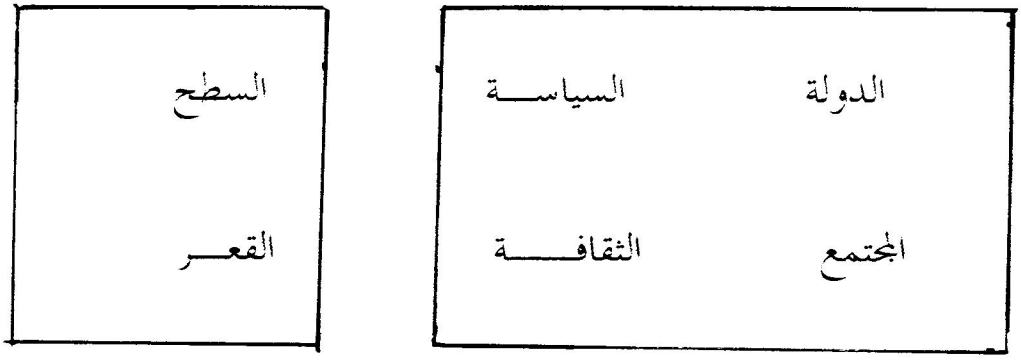

** المصادر : ـــ

(١) يوسف عزيزي، مقالة نُشرَت في صحيفة ((الزمان)) بعنوان : خاتمي والحقوق الدستورية للقوميات الإيرانية، [الزمان ، العدد ٨٦٢ بتاريخ ٢٠٠١/٣/٨] .

(٢) نفس المصدر .

(٣) علي أميري، مدَّرس أحوازي قدَّم بحث بعنوان : ((نقد الذات))، مُستعيناً بأفكار البـــاحث العربي محمد عابد الجابري .

عادل السويدي

٢٠٠١/٧/٣٠

[محاضرة أُلقيتْ في :

المؤتمر الثالث للرابطة العالمية للخريجين الجامعيين العرب في إيران

في ألمانيا ـــ مدينة بوخوم]